الفكر الأخلاقي في ادب وادي النيل

المدرس المساعد أسامة عبد السلام حمد إبراهيم
الجامعة العراقية – كلية الآداب
osamah.abd.hamad@aliraqia.edu.iq

Ethical thought in Nile Valley literature

Assistant Lecturer
Osama Abdul Salam Hamed Ibrahim
(osamah.abd.hamad@aliraqia.edu.iq)
College Art/ Al- Iraqi- University

المستخلص

كانت القيم الأخلاقية عنصراً مهماً في الأيدولوجية المصرية القديمة, فقد كرس الفكر الأخلاقي فكرة احترام الانسان وعدم التجاوز عليه لفضاً وجسداً, وشيوع قيم الفضيلة في المجتمع والابتعاد عن المحارم الدينية والاجتماعية والأخلاقية, والحث على عمل الخير والصالح لأنه لا يوجد عمل عظيم افضل من العمل الصالح, وأن العمل الصالح للحاكم هو أنّ لا يتجاوز على شعبه, وأنّ العمل الصالح للفرد هو أنّ لا يتجاوز الانسان على أخيه الانسان وأن العمل الغير الصالح سوف يجلب مغضبة الالهة.

الكلمات المفتاحية: وادي النيل, الاخلاق, الحكمة, الادب المصري

.

Abstract

Taboo it was moral values an important element of ancient Egyptian Religious ideology , Was Various types shape and ways that forbiddance of Godly taboo and Human forbiddance and Behavioral forbiddance and even Legislative or Regulatory taboo , All of these principles in forbiddance it wasn't aimed Just obedience each idea Egyptian Religious Theology ancient which was main objectives Building a society Egyptians to keep of Humanitarian moral values that many have expressed of religious Literary transcripts the content was , sky obedience and not to Exceed to Human to brother Human and don't exceed to Natural Because god divine authority and Natural must be the wrath of the gods.

Keywords: Nile Valley, Ethics, Wisdom, Egyptian Literature

المقدمة:

لا نعرف بالتحديد في أية لحظة تاريخية بدأت ظاهرة الفكر الاخلاقي, لأنّ الاخلاق لكونه فكرة كانت قد ارتبطت بتاريخ الانسان البدائي مع بداية عملية التمييز عند الإنسان " بامتلاكه العقل "التي تميّز فيه الانسان عن بقية المخلوقات، إذ تفكر الانسان في جوهر الأشياء والطبيعة والروح وفي جوهر الله, وفي الطاقة المخبأة في الطبيعة وخلق الكائنات الأخرى, ذلك الفكر ساهم في زيادة الوعي الديني و تنظيم السلوك والتحكّم في تكوين شخصيته.

وقد قسم عدد من الباحثين بدايات فكرة الاخلاق ، فقد قال بعضهم انها قد اتخذت مسارات عديدة، من هذه المَسارات :

١- إنّ فكرة الاخلاق قد ارتبطت مع فكرة الوجود الإنساني , اذ ذكر فيور باخ " أنّ الدين هو أعلى صورة من صور التعبير عن الوعي الذاتي الإنساني ".

٢- ربط الاخلاق بفضل الدِين، أو ارتبط مع فكرة العقيدة الدينية لديه, أي أنّ نشوء فكرة الاخلاق أكملت للعقل ما بين ما هو حقيقي وزائف وما بين ما هو حقّ وما هو باطل وما بين ما هو مادي وما هو روحي.

٣- ربط فكرة الاخلاق مع بداية تشكيل فكرة الوعي، الذي نتج عنه احترام الآخر لحقوق الآخر الإلهية والروحية والانسانية والأخلاقية منها تحريم القتل بدافع شخصي او حقداً أو لثأر دموي، أي ان الأنسان قد أعتاد ومنذ بداية وجوده على امتلاك فكرة الوعي وأهمية وجود الاحترام للطبيعة وجميع الأقوام الأولى من خلال تقديس الطبيعة وممارسة طقوس عبادتها من أجل

الحصـول علـى خبراتهـا وأطاعـه الالهـة وممثلهـا خوفـا مـن لعنتهـا وعقابهـا وشرورها .

الأخلاق لغة:

الخلق لغة بســكون اللام وضـــمها وهي جمع اخلاق وتعني المروءة العادة والكرم والطبع.

ويقال رجل له خلق حسن وخليقة وأمراه خليقة أي ذات خلق وجسم [١].

وتعرف **الاخلاق اصطلاحاً :**

بأنها هيئة راســـخة في النفس يطلق على الحســـن والقبيح من الافعال, فاذا كانت الأفعال موافقة للعقل والشـرع سـميت أخلاق حسـنة, واذا كانت الأفعال الصـادرة من النفس تخالف العقل والشـرع سـميت أخلاق قبيحة, بحيث يكون سـلوك الانسـان هو التطبيق العملي الذي يحدد طبيعة الخلق [٢].

وتعرف ايضــاً بأنها مجموعة من الاحكام التي تواجه ســلوك الفرد منها مهو فطري ينشأ مع الفرد منها ما يكتسبه الفرد.

لذلك يتضح مما سبق أنّ مفهوم الاخلاق متعدد الابعاد والمجالات فالأخلاق تتناول الخير والشر وتتضمن الاخلاق الحسنة والأخلاق السيئة.

ذلك الامر الذي ادركه المصريون القدماء واكد عليه المفكر توملين إذ ذكر

" **أنّ ما يهمنا في المصـــريين كونهم أول أناس بل اول شـــعب يناقش المشـــاكل الأخلاقية مشاكل الخير والشر ومشاكل الصواب والخطأ** " [٣].

أنّ الميزة المهمة للفكر المصـــري القديم أن جوهره أخلاقي, أي أنّ هذا الفكر حاول أنّ يكرس الفطرة الإنســانية للحفاظ على النوع البشـري وحفظ الاسـتقرار والكف عن التجاوز على الاخرين وشيوع قيم الحق الفضيلة.

أولاً: الفكر الأخلاقي في قصة الفلاح الفصيح " خنوب انوب "

حدثت قصــة **الفلاح الفصـيح** [٤]، في عهد الملك " تب كاو رع " احد ملوك الاسـرة العاشرة (٢١٣٠– ٢٠٤٠ ق.م) "اسرة أهناسيا" في نهاية الالف الثالث ق.م , تدور القصـــة حول فلاح يدعى **خنوب أنوب** تعرض للظلم على يد احد الموظفين ويدعى **تحوتي نخب** حين اخذ منه حماره وما عليها من متاع بحيلة دنيئة, فذهب الفلاح الى عاصمة المقاطعة ليشكو أمره الى وكيل الملك " **رنزي** " رئيس خنوب انوب في **تسع رســـائل بطريقة أخلاقية رائعة ومحترمة طالباً منه رفع الظلم عنه وتحقيق العدل مُذكراً بحُرمة التجاوز على حقوق الفقراء والمســـاكين باعتباره وكيل الالهة وان الالهة لا تظلم احد** [٥].

وإن قراءة نصّ لرســالته الاولى ســعياً في توضــيح البُعد الاخلاقي في الحوار وفي تذكير مدير المقاطعة الى ضرورة الحفاظ على حقوق وحُرمات الناس فيقول :–

(يا مدير البيت العظيم، يا ســـيدي، يا اعظم العظماء، يا حاكماً عليّ ما قد فني وما لم يفني(أي حاكماً على كل شـــيء) وإذا ذهب إلى بحر العدل (يمتدح عدل الملك) وسحت عليه في نسيم رخاء , فان الهواء لم يمزق قلمك وقاربك لن يتباطأ ولن يحدث لصاريك أي ضرر ومرساتك لن تنكسر, ولن يغوص قاربَك حينما ترسو على الارض ولن يحملك التيار بعيداً، ولن تذوق اضـــرار النهر، ولن ترى وجهاً مُرتاعاً، والسمك الخائف سيأتي إليكَ ، وستصل (يدك) إلى أثمن طائر، وذلك لأنك أباً لليتيم وزوجاً للأرملة وأخاً لتلك التي نُبذت، ومئزر لذلك لا أمّ له ، دعني أجعل

اســـمك في هذهِ الارض يتفق مع كلّ قانون عادل، فتكون حاكماً خالِداً من الشـــر وشـــريفاً بعيداً عن الدنـايا، ومُهلكاً للكذب ومُشـــجعّاً للعدل ورجلاً يُلبي نداء المُســتغيث، إني أتكلّم فهل لكَ أن تســمع؟ أقِم العدل أنت أيّها المَمدوح, انظر اني في حيرة (٦).

يتضح من بداية مضمون **الشكوى الأولى** الى **الاحترام بين الشعب والملك ومعاونيه** اذ ذكر في بداية الخطاب يا مدير البيت العظيم يا اعظم العظماء أي مالك البلاد وســـيدها واعظمها, ثم أكد بعد ذلك الى **فكرة رفض الظلم وتحقيق العدل وتحريم التجاوز على الانسان**, هذا الإحساس هو الذي دفعه في مطالبة الملك شاكياً مُذكره بضـــرورة تطبيق العدل وأنه أب لليتيم وحامي المظلوم, وذكره بأن يقيم العدل بين الناس وينتصر له لأنه ذو أعباء ولا ناصر له مهدداً بأنه سيقدم شكواه للإله أنوبيس أذ لم يرفع عنه الظلم:

(إذا طبقت العدل ســتشــعر بالأمن والأمان، فلن يمزق الهواء قلعك، ولن يتحطم قاربك ولن يكون بطيئاً مُعرّضاً للخطر) (٧).

وقوله **(أنظر اني في حيرة)** انها حيرة الانسـان الذي يريد أنّ يكون حراً حين يسـير وحين يمشي فلا يعترضه أي احد يسلبه تلك الحرية.

ورفع الفلاح شكواه للمرة الثانية الى الامير رنزي وقال **(يا أيها المدير العظيم للبيت, انت الذي تتمثل فيه عظمة العظماء وغنى الأغنياء انك دفة الســـماء وســـاري الأرض وحبل الميزان الذي يحمل الثقل , يا سـكان السـماء ومثقال ميزان الأرض, يا أيها السكان لا تنحرف ويا مثقال الميزان لا تمل, أنّ العدل يفلت من تحتك)** (٨).

اســـتخدم الفلاح خنوب انوب في شـــكواه تعابير منها **القارب والميزان** للعدالة, وهذه المقارنات بين اخلاق مدير البيت وبين الموازين, وهي تظهر مرات عديدة في كلمات

الفلاح والعبرة التي تؤخذ منها واضـــحة لأن مفتاح طريق الحق والعدل بأيدي الطبقة الحاكمة أذ كان المرجو منهم أن يوازنوا بين الحق والباطل .

ثم يتضرع الفلاح في **شكواه الثالثة** الى الأمير رنزي ويشبه بالإله رع فيقول :

(يا أيها المدير العظيم, أنك رع رب الســـماء , أن قوام بني الانســـان منك لأنك كالفيضـــان وان حعبي "اله النيل" التي تخضـــر به المراعي وترد الأرض المجمدة خصيباً, اكبح جماح السارق ودافع عن الفقراء) (٩).

يتضح لنا من خلال نص رسالة الفلاح الثالثة أنها كانت صفات للملك الجالس على العرش وتذكير الأمير بأنه وكيل الآلهة على الأرض وانه ينوب عنها في احقاق العدل والمساواة بين الناس.

و في شكواه الرابعة الى الأمير رنزي فقال له:

(أن الرحمة قد تخطتك فما اعظم حزن الرجل الفقير الذي قد خربته) (١٠).

وينتفض الفلاح للمرة الخامســـة من اجل احقاق الحق وإقامة العدل حيث جاء في **شكواه الخامسة :**

(يا ســـيدي لا تحرم رجلاً فقير الحال من املاكه, فأن أملاك الرجل الفقير بمثابة النفس له ومن يغتصبها يكتم انفه)

واســتمر خنوب انوب في شــكواه ينتقد ويحذر البعيدين من تطبيق العدلة أذ بين في **شكواه الثامنة:**

(الرجل الجشـــع لم يصـــل الى نهاية جيدة, والرجل الطماع بعيداً عن النجاح لأن قلبه مليء بالجشـع ويفكر في السـرقة, أنّ القمح قد فاض فأن الفائض منه يبعثر على الأرض, اقم العدالة لرب العدالة والذي عدل عدالته موجود, ولأن العدل يبقى للأبد وسيذكر بالخير) (١١).

يبدو من خلال رسالة الفلاح الثامنة أنّ الانسان لن يستطيع الغاء فكرة العدالة لان الالهة تحميها, أنّ الانسان المصري توصل الى أنّ العدالة خالدة وباقية الى الابد, وانّ الانسان بعد موته سترافقه اعماله وسيبقى خالداً لأنه كان حريصاً على إقامة العمل الصالح.

وقد اختتم الفلاح **شكواه الأخير** بقوله **(نفذ العقاب على من يستحق العقاب والكذب قد انتهى عمله والصدق يرجع معارضاً له, اما تنمو ثروته فلن يكون له أطفال ولن يكون له وريث على الأرض وسفينته لن ترسو على مدينة)** (١٢).

وفي نهاية شكواه ارسل وكيل الملك رنسي حارسين من اتباعه لكي يحضروا الفلاح, وكان الفلاح خائفاً ظناً لأنه سيعاقب بسبب الخطابات التي القاها لكي يطلع عليها الملك, فقام بتجريد تحوتي نخت من ممتلكاته واعطاها الى الفلاح تعويضاً له عما أصابه من ظلم.

أنّ الشكوى التاسعة التي القاها الفلاح الفصيح تبين لنا فصاحة لسانه واسلوبه الخطابي الجيد واخلاقه العالية اتجاه الملك ووكيله, وتبين لنا من جانب اخر أنّ هنالك من يستمع من الحكام الى شكاوى شعبه من خلال اقتصاص الملك من الظالم وارجاع الحق الى الفلاح الضعيف (١٣).

ثانياً : النصائح الأخلاقية للوزير بتاح حتب لأبنه:

اهتم ملوك مصر ووزرائها في تكريس قيم العدالة والأخلاق في المجتمع المصري من اجل تكريس قيم الفضيلة والمحبة بينهم ومن اجل الحصول على رضا الالهة, ومن بينهم الوزير **بتاح حتب** الوزير الأول للملك **اسيسى من** الاسرة المصرية الخامسة بحدود (٢٦٧٠ ق.م) الذي ترك لأبنه مجموعة كبيرة من النصائح بعد أنّ حلت به الشيخوخة وكبر في العمر واراد أنّ يحل ابنه محله في الحكم [١٤], ومن أبرز النصائح التي ذكرها بتاح حتب لأبنه :

(لا تَزهُ بنَفسَكْ لأنك عالِمْ ، بل تحدث إلى الجاهل كما تتحدث إلى الحكيم لإنّ الحذق لا حدَّ لهُ , كما أنّ الصانِع لا يَبلُغ حدَّ الكمال في حذق صناعته، والكلام الجميل أندر من أحجار الزمرد لذي نعثر عليه بين الحصا , وأحذر أن تخلق لنفسك الأعداء بأقوالك ولا تتخطّ الحقّ ولا تتكدر مما قاله إنسان غيرك, أميراً كان أو فلاّحاً ليفتح بهِ قلوب الناس له لإنّ ذلك بغيض إلى النفس) [١٥].

و يوصي بتاح حتب أبنه بضرورة الطاعة ويحث عليها اذ يذكر :

" أنّ الرجل الذي يحبه الآله هو الذي يطيع , وأنّ الطاعة أحسن من كل ما في الوجود " [١٦].

وفوق كل هذا كان بتاح حتب يحّث على تعلُّم وتعليم الفضيلة **(فضيلة الحكمة وضبط النفس)** حيث يقول :

(وإذا كنتَ ذا سُلطان فأسعِ لأنْ تنال الشرف عن طريق العِلم ورقّةِ الطباع وأحذر أنْ تُقاطع الناس وأن تجيب عن الأقوال بحرارة، أبعِدْ ذلكَ عنكَ وسيطر على نفسِكَ)[١٧].

ومن أبرز نصائح بتاح حتب :-

(ولِتكُن أعمالك في مناسباتها وكلماتك في موضعها، لا تسمع الاَ بوعي ولا تفكر الا برؤية ولا تجيب الا بحكمة ولا تحكم الا بغير انحياز فحكمك ستحاكم عليه)

(كلما كثر كلام الانسان كثرت اخطائه وانكشف حقيقته)

(إذ قررت الزواج فأختر المرأة التي يشير اليها قلبك وعقلك قبل عينيك)

(الزوجة الصالحة منحة السماء لمن يستحقها)

(المرأة الجميلة ليست دائماً فاضلة والمرأة الفاضلة ليست دائماً جميلة)

(صوت القلم هو اعلى الأصوات لأنه صوت الحق) [١٨].

ويختتم (بتاح حتب) نصائحه بهذهِ العبارة :

(لَنْ يُمحى من هذهِ البلاد إلى أبد الدهر لفظٌ من الألفاظ المدونّة هنا، ولكنها ستُتخذ نماذج وسيتحدث عنها الأمراء أحسنَ الحديثْ إنَّ كلماتي ستُعلَّم الرجل كيف يتحدث، أجلْ، إنه سيصبح إنساناً حاذقاً في الطاعة بارِعاً في الحديث وسيصيبه الحظّ الحَسِنْ وسيكون ظريفا إلى آخر أيام حياته وسيكون راضياً على الدوام)[١٩].

كان (بتاح حتب) كغالبية حُكماء مصر يؤمن بأن الآلهة لا ترضى بالظلم وتكره ارتكاب الذنوب باسمها ويُحذّر من التجاوز على المُحرمات الدينية والاخلاقية لانهما ستجلب الشرّ على الحُكام والمحكومين, وفي رسالة فرعونية لأحد حكام مصر محرماً التجاوز على حقوق الناس واحترام الكبير والصغير والتمثل بأخلاق الالهة فيقول

(اني لم أسيء معاملة أبنة رجل من القوم, لم اظلم ارملة ولم اهن فلاحاً, لم اطرد راعياً ولم اسخر في اشغالي عمالاً بلا اجر, وبهذه الطريقة زال الحزن عن إقليمي وانعدم الجوع, وكنت اجزل العطاء للكبير والصغير) [٢٠].

ثالثاً: الفكر الأخلاقي في تعاليم الحكيم أمنوبي

وجدت حُكم وتعاليم الحكيم **أمنوبي** [٢١] الى أبنه **حور ماخر** التي كشفها عنها العالم **ولس بيدج**، مكتوبة على ورقة **بردية** محفوظة الان في المتحف البريطاني, وقد ضلت هذه الورقة منسية منذ العام ١٨٨٨م إلى إنّ بدأ العلماء الأثار منذ عام ١٩٢٢م في الاهتمام بأمرها [٢٢]. اتفق الباحثين وعلى رأسهم الأستاذ **أدولف ارمان** والأستاذ **لنجا** من أنها ترجع الى **الاسرة الحادية والعشرين (١٠٧٠-٩٤٥ ق.م) والثانية والعشرين (٩٤٥- ٧٢٠ ق.م)** , بدأت تعاليم أمنوبي **بمقدمة** شرحت الغرض من وضعها وهو الإرشاد الى سبيل الخير والتعريف بقواعد السلوك ادأب الحديث والمعاملة, وتميزت تلك التعاليم **بقوة الأيمان بالخالق** والتسليم بما قدره الله للإنسان والنهي عن المنكر والبغي [٢٣].

ومن أبرز الأمثال التي وضعها أمنوبي والتي تتطلّب مِن أن تكون قلوب المصريين مملوءة بالطاعة والخلق السليم التي بدورها تحظى ببركة ، وإنّ القولب المملوءة بالعصيان لن تحظى بالبركة :-

* **لا تُتعب نفسك في طلب المزيد، حينما تكون قد حصلت على حاجتك، وإذا جلب إليك المال بالسرقة، فأنها لا تبقى فسرعان ما تطير وتختفي، ولا تفكر في أمور خارجية فكل أنسان مقدر له ساعته .**
* **الفقر في يد الله خير من الغنى في الهرى (المخزن) وأرغفة (تحصل عليه) بقلبٍ فَرِحْ، خيرٌ من ثروة (تحصل عليها) في التعاسة والثناء على الإنسان كشخصٍ محبوب عندَ الناس، خيرٌ من الغِنى في الهرى (المخزن).**
* **لا تصاحب رجلاً حاد الطبع , ولا تلح في محادثته**

*** لا تأكل الخبز في حضرة رجل عظيم، ولا تعرض فمك في حضرته وإذا شبعت من طعام مُحرّم، فإنّ ذلك ليس فيه لذّة، وأنظُر فقط وأنتَ على المائدة إلى الوعاء الذّي أمامك، وكُن مُكتفياً بما فيه** (٢٤).

*** لا تسخر من أعمى ولا تهزا من قوم ولا تحتقر الرجل الأعرج فالأنسان صنع من طين وقش والله هو خالقه .**

*** لا تضرن رجلاً بجرة قلم, لأن ذلك يمقته الله .**

*** أغرس طيبتك في جوف الناس حته يحبك كل الناس** (٢٥).

إنّ التدقيق في تعاليم **أمنوبي** وغيره من الفلاسفة تؤكد على :

١- **إنّ الأخلاق جوهر الدين المصري القديم وهي جوهر الأخلاق المصريين وإنّ لا عيش سعيد أو رغيد حين يتجاوز الفرد على حقوق غيره**

٢- **أنْ لا أخلاق ولا نظام من دون حضور مبادئ الفضيلة، التي يقتضي تحقيقها الابتعاد عن المحارم أياً كانت دينية أو اجتماعية أو أخلاقية** (٢٦).

مِمّا تقدّم من نصـــائح جعلتنا نتأكد مِن أنّ الفكر الديني المصـــري القديم في معانيه الروحية والبشرية كانت تؤكد على ضرورة تحاشي التجاوز على المحرّم الديني، الذي كرّس كلّ طقوسـه وتعاليمه وأسـاطيره على أنَّ الخير قرين بالأخلاق وإنّ الشـرّ قرين بالتجاوز عليه (٢٧), كانت العقيدة الدينية في مصر كغيرها من العقائد الدينية القديمة، تحّث على أنّ جوهر الوجود الإنسـاني مؤسـسـاً على فكرة **الخير** الذي يطرد **الشـر** (٢٨), وتحدثت الكثير من التعاليم والأمثال على فكرة محبة الخير كما يرد في هذا النصّ:-

(لا تكُن شريراً، فمِنَ الخير أن تكون رحيماً عطوفاً، خَلِّدْ أثر ذِكراك عن طريق حبّ الناس لك، فيحمَد الناس الله من أجلك. ويمتدح الناس طيبة قلبك، ويتمنون لك الصحة والعافية مَجِّدْ العظماء ، وأعمل على سعادة شعبك، فكَمْ هو جميل أن يعمل المرء من أجل المُستقبل. ولكن أفتح عينيك، فقد يمتلئ المرء بالثقة، ثمّ ينكشف الأمر عن حسرة لثقتهِ التي جاءت في غير موضعها) [٢٩].

وإنَّ العقيدة الدينية، التي قَرَنَتْ فكرة الحُكم بـــ **(العدل)** ورِضا الإله **(ماعت)**[٣٠] اشترطت قواعدها في العمل بالعدل ليس بالملوك فقط بل في كلّ موظفيها لأنه يجليه بالخير كما يؤكد هذا النصّ :-

(أقِمْ الحقّ طوال حياتك على وجه الارض، وواسِ الحزين ولا تظلم الأرملة، ولا تحرم رجلاً من ميراث أبوه , ولا تُلحق ضرراً بالقضاة فيما يتصّل بمناصبهم، وكُنْ حذراً مُدقِّقاً حتّى لا تظلم أحداً أو تُعاقب دون وجه حق ,لا تقتل فالقتل لا يفيد، ولا يعود عليك بأي خير، بل عاقب بالضرب والسجن، وبهذا يستقر الأمر في البلاد حقاً ويستتب، إنّ الله عليم بالرَجل المُتمرِدْ الجموح، واللهُ يُجازي عسفه بالدم , ولا تقتل رجل تعرف قدره وتكون قد تعّلمت الكتابة معه إنّ الروح تأتي إلى المكان الذي تعرفه، ولا تضّل عن الطريق الذي سلكته بالأمس) [٣١].

لقد أكدّت أمثال وحِكم المصـــريين القدامى على إنّ **المحبة والعمل الخيّر** يســـتلزم الابتعاد عن **النفاق** لأنه جادة **الخير** كما في هذا النصّ :-

(لا ترفع من شـأن ابن الرجل العظيم على ابن الرجل الوضـيع، بل أتخّذ لنفسـك الرجل حســب أعماله وكفايته. احم حدودك، وحصِّــنْ قِلاعك حتّى يكون للجيوش شـأنها في الحِفاظ على البلاد. أقِمْ آثاراً خالِدة للإله لأنها تحيي ذكرى اسم بانيها، وعلى المرء أن يعمل ما فيه صلاح روحه بإقامة الشعائر الدينية كل شهر، ولبس

النعال البيضـاء وزيارة المعبد والكشـف عن الأسـرار المقدسّـة، والدخول في قدس الأقداس وأكل الخبز في المعبد)

(لا تقتل أحد ممن يقفون قريبين منك , بعد إنّ تكون امتدحنه والله يعرفه)

(دع الدنيا كلها تحبك) [٣٢].

ثالثاً: الفكر الأخلاقي في تحريم التجاوز على الشعب

حرص الادب المصـري القديم الى الحث على **الفضـائل وكرم الاخلاق** ، وتدعو إلى السـيطرة على نزعات النفس والتحلي بالصـفات الحسـنة لإنّ هدفها كان هو **صـياغة الرجل الصـادق المُسـتقيم**، وهي تنظر إلى الإنسـان في حدّه الأدنى، أي باعتباره إنسـاناً بسـيطاً مُجرداً دون أدنى اعتبار لمكانته الاجتماعية أو درجة ثرائه أو جنسـه ذكراً كان أم أنثى، فالجميع سواء أمام **القانون الاخلاقي** ولا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى والاستقامة وحُسنُ الخُلق، وهي من هذه الناحية تقترب كثيراً من الإسلام [٣٣], لم تكُن الحكمة المصرية قديماً ترفاً اجتماعياً، أو حديث صالونات، ولم يكن الحكماء المصـريون يعيشـون في برج عاجي بمعزل عن الشـعب، وإنما كانوا بمثابة ضـمير الأمّة، وكانت أقوالهم تنتشر بين الناس وتصبح دستوراً للعلاقات الإنسانية والسلوك العام، ومَن يخرج عليها يفقد المصداقية والاحترام [٣٤].

ومِمّا يدُل على مدى انتشار أقوال الحكماء بين الناس إنّ معظم نصوص هذهِ الحِكَمْ وردت إلينا بصـورة تمارين يقوم بها التلاميذ للتدريب على البلاغة أو قواعد اللغة أو تحسـين الخط, معنى ذلك ان الناشـئ كان يتمرس بها ويتشـرّب رحيقها منذ نعومة أظافره ويشّب بالتالي جيلاً قوياً صـادقاً متين الأخلاق , وإنّ نصـوصـاً مصـرية دينية أو أدبية عديدة تحث على صدق الحاكم مع شعبه كما هو في هذا النصّ :

(إنّ الحُكم مهنة شريفة، إنّ الحاكم إذا لَم يكُن له ولداً أو أخاً يحيي ذكره ويخلّده، فلا يمنع ذلك مِن أن يقوم الحاكم بإحياء آثار غيره، فكل حاكم يحبّ أن يفعل ذلك لمَن سبقه إذا أراد لما أقامه هو أن يُعنى بهِ الخلَف الذي يأتون من بعده)[٣٥]

ويضيف النصّ :-

(لقد حدث أمرٌ منكر في عهدي : فإنّ أقاليم "طيبة " قد انتهكت حُرمتها، ولقد حدث هذا حقاً نتيجةً لما فعلته، ولكني لم أعرف ذلك إلا بعد أن تم عمله، لقد كان هذا شرّاً فكُن على حذر في هذا الشأن، فإن الضربة تُقابَل بمثلها) [٣٦].

وتذكر العديد من النصوص (الحاكم الإله) إنه مُراقب من قبل الآلهة وسيحاسب فيما يفعله للناس وما سيقول عنه البشر كما في هذا النصّ

(يمر الجيل متنقلاً الى جيل أخر من الناس والله العليم بالأخلاق قد أخفى نفسه. أعبد الإله وعظمته حتى لو أتخذ لنفسه صورة شكلّت من الأحجار الكريمة أو من النحاس لآنه كالماء الذي يحّل محلّه الماء، ولا يرضى النهر لنفسه أن يبقى مختبئاً وإنما يكتسح السد؟ الذي يخفيه, إن الروح تذهب إلى المكان الذي تعرفه ، ولا تضّل عن طرقهما التي سلكتها في الأمس) [٣٧].

إن النصـــوص الأدبية تذهب في أنّ مكافأة العامل الصـــالح (الحاكم أو المحكوم) فيقول أحد النصوص:

إنّ الآلهة ليتقبل فضيلة الرجُل الصالح
وهي أحّب إلى قلبه من ثور يُقدِّمهُ الرجل الظالم
والله عليمٌ بكلّ من يعمل شيئاً من أجله.
إن الله قد رعى الناس، وهم قطيع الله،
وهو راعيهم. وقد خلق السموات والأرض.
وهو قد خلق النور حسب ما يرغبون،
وجعلهم كذلك ينامون وهو يسمعهم عندما يبكون
وجعل لهم حُكاماً من الأرحام..
إسناداً تستند إليها ظهور الضعفاء (٣٨).

ان تحليلاً بســـيطاً لهذا النص الديني القديم يؤكد معناً واحداً أن الالهة **تكافئ العمل الخير وتعاقب من يرتكب الرذيلة**

كان للتطوّر الاجتماعي والتغيير السـياسـي الذي عاشـته **مصـر** في حقبتها التاريخية أمر واضح في العقيدة الدينية والأدب المصري، وهذا الامر نلمسه في تطور أسلوب الكتابة في **أدب الحكمة** وفي الأســـلوب المختلف للقصـــائد, إذ ظهر نوع جديد من الأدب هو **ادب النقد والســـياســـة**, وقد تميّز الادب المصـــري الاخلاقي في الدولة القديمة والوسـطى والحديثة بأسـلوب **ادبي رائع وبالبسـاطة والواقعية والاتزان**, وكان لهذا النوع من الأدب والنُصـــائح دور في إدارة البلاد وتربية الشـباب حتّى أصـبحت

هذهِ النصـــائح وهذا النوع من الأدب إلى قطع مأثورة يحفظها الشـــباب عن ظهر قلب[٣٩].

هذا النوع من الأدب الاخلاقي الذي وصِف بالواقعية والاتزان حتّى أعتبره المصريون انفسهم مثالاً يُحتذى به في بلاغة و جودة التعبير وبلاغة التصوير

إنّ التداخل بين ما هو ديني وما هو أخلاقي وما هو أدبي انعكس على ســـلوك المصريين القدامى ثراءاً معرفياً وثقافياً كرّسته العديد من النصوص، التي كانت كما يظهر في هذا النصّ ، والذي يقول فيه :-

(ليس هناك من يَخدع الناس ولا يكون مخدوعاً هو نفسه، وليس هناك من يسير معوّجاً ومع ذلك يستمر ويزدهر) [٤٠].

أليس ذلك هو نفس المثل الشائع " **من حفر حفرة لأخيه وقع فيها** "

ويقول الحكيم **آنى** :- **(إذا كنت تســـير على طريق تضـــعه بيديك كل يوم فإنك ستصل حقاً إلى المكان الذي ترغب فيه)** [٤١].

وهذا يشبه تماماً قولنا " **من سار على الدرب وصل**

رابعاً: الادب الأخلاقي في النصائح والتعليمات الموجهة لطلبة المدارس

كان الإباء في مصر القديمة يشرفون على تربية أولادهم في دور التنشئة, لأن التعليم عندهم كان هو السبيل الذي يفتح امامهم باب مناصب الدولة ويحقق لهم أسباب السعادة ويعلمهم الاخلاق والتربية الحسنة وكيفية مخاطبة الاخرين واحترامهم لينالوا رضا الالهة, وكان عندهم الرجل المحظوظ هو **الذي وضع العلم في قلبه** [٤٢], ومن ابرز تلك النصائح الموجهة الى طلبة المدارس :

*** اكتب بيدك واقرا بفمك واطلب النصح ممن هو انبه منك, ولا تقضي يوماً في خمول حتى لا يستوي الغم والحزن على اعضائك**

*** ثابر على عملك كل يوم وبهذا تمتلك ناصية الكتاب ولا تقض يوماً في خمول والا ضربت, أنّ اذان الصبي فوق ضهره وهو يسمع عندما يضرب وجه قلبك نحو سماع كلماتي فأنها ستعود عليك بالنفع**

*** لقد بلغني أنك تسير وراء نزواتك ولا تتبع نصائحي لأن الصمم قد استولى على عقلك أن قدمك ستعثر وانت تسير في الطريق وستضرب بسوط فرس النهر**

*** وطن نفسك على أنّ تكون كاتباً حتى تستطيع أنّ تدبر امور العالم كله**

*** لا تدع قلبك يهتز كأوراق الشجر امام الريح ولا تجعل قلبك ينهمك في الملاهي فأنها لا تفيد ولا خير فيها للإنسان** [٤٣].

الخاتمة والاستنتاجات:

يظهر مما سبق أنّ الفكر الأخلاقي في الادب المصري القديم شكل مركز الفضائل الأخلاقية, أنّ لم نقل جوهرها فلم تكن هنالك قوة في حياة المصريين تغلغل اثرها في كافة انشطته كما كان للأدب والدين معاً, لقد أمن المصريون بأن الرجل النقي يتوقع بعد الحساب أنّ يدخل مروج الجنة وهم موقنون من أنّ المرء يمكنه الحصول على المكافئة النهائية ا العقاب وفقاً لأخلاقه وعمله الصالح في الدنيا.

أنّ الفكر الادبي في بعده الأخلاقي قد ذهب الى تنظيم العلاقات الاجتماعية البشرية فقد كرس الفكر الادبي الأخلاقي فكرة احترام الانسان حقه الإنساني وعدم التجاوز عليه لفضاً وجسداً ورزقاً لأن الحكماء المصريين اعتقدوا أنّ الاخلاق جوهر الدين المصري القديم وهو جوهر السلوك حيث اقرا هذا الفكر أنّ لا عيش سعيد او رغيد يتجاوز الفرد على حقوق غيره, وأنّ الاخلاق من دون شيوع قيم الفضيلة التي يفترض تحقيقها والابتعاد عن المحارم سواء كانت دينية او اجتماعية او أخلاقية, والحث على عمل الخير لان لا يوجد عمل عظيم افضل من العمل الصالح ولا رجل عظيم بدون العمل الصالح.

كان الانسان المصري القديم يعتقد بأن التمتع بالسعادة والهناء بعد الموت يتوقف على اعماله واخلاقه في الحياة الدنيا, وقد أدت تلك المفاهيم بدورها الى الاعتقاد بأنه لا بد من تقدير أعمال الانسان قبل أنّ يتقرر استحقاقه لنيل رضا الالهة, وهذا يدل على أنّ الوازع الديني للإرضاء الالهة كان السبب في قيام الخير.

الهوامش:

١. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري, أساس البلاغة, (مصر: دار الكتب), ج١, ص ٢٤٨

٢. كريم دوز, الاخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية, (عمان: مركز براهين, ٢٠١٧م), ص ٣١

٣. محمد عبد الله الشرقاوي, الفكر الأخلاقي " دراسة مقارنة", (بيروت: مكتبة الزهراء, ١٩٩٠م), ص ٣٦

٤. يقول الدكتور سليم حسن أنّ تسمية الفلاح اطلقها العلماء تجاوزاً وأنّ الاسم الحقيقي لبطل الرواية " **ساكن الحقل** " في وادي النطرون حالياً

٥. منتصر ثابت, خونانوب الفلاح الفصيح, (القاهرة: دار الهلال, ٢٠٠١م), ص ٢٤

٦. سليم حسن, موسوعة مصر القديمة " الادب المصري القديم ", (القاهرة: دار الكتب, ٢٠٠٠م), ط٢, ج١٧, ص ٥٩

٧. سمير اديب, موسوعة الحضارة المصرية القديمة, (القاهرة: دار العربي, ٢٠٠١م), ص ٦٢

٨. احمد الخشاب, التخطيط الأخلاقي, مجلة كلية الاداب, العدد ٩, بغداد, ١٩٦٦م, ص ١٩

٩. سليم حسن موسوعة مصر القديمة , ج ١٧, ص ٦٢

10. Miriam Lictheim, Ancient Egypt Literature, vol 11, p 177

11. Ibid

12. William Kelley Simpson, The Literature of Ancient Egypt,(oxford: 1927) p 31

١٣. جيمس هنري برستد, فجر الضمير, تر: زكي سواس, (القاهرة: دار الكرنك, ١٩٩١), ص ١٤٣

١٤. ول وايريل ديورانت, قصــة الحضــارة " الشــرق الأدنى ", تر: محمد بدران, (بيروت: دار الجيل, ١٩٨١م), مج ١, ج٢, ص ١٥١

١٥. محمد علي سعد الله, تطور المثل العليا في مصر القديمة, (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة, ١٩٨٩م), ص ٨١

١٦. ول وايريل ديورانت, قصة الحضارة, ج ١٧, ص ١٥١

١٧. احمد محمد البربري, الادب المصري القديم, (القاهرة: ٢٠٠٦م), ص ١٠١

١٨. عبد الحميد درويش, الفلسفة في مصر القديمة من أمحوتب الى اخناتون, ط٣, (القاهرة: مكتبة وهبة, ٢٠١٧م), ص ٥٠

19. H. Frank fort, Ancient Egypt Religion, (new york: 1961), p 208

20. ibid

٢١. وهو حكيم مصــري عاش في عصــر الدولة الحديثة ١٥٨٠ ق.م وهو من منطقة اخميم من صعيد مصر

٢٢. محرم كمال, الحكم والامثال والنصائح عند المصريين القدماء, ط٢, (الإسكندرية: الهيئة المصرية للكتاب, ١٩٩٢م), ص ١٠٨

٢٣. سليم حسن, موسوعة مصر القديمة, ج ١٧, ص ٢٣٢

٢٤. احمد محمد البربري, الادب المصري القديم, ص ١٢٨

٢٥. احمد محمد البربري, الادب المصري القديم, ص ١٢٨

٢٦. عوض محمد عوض, النظام الديني في مصر القديمة, (القاهرة: دار الشمس, ٢٠١٧م), ص ١١

٢٧. المصدر نفسه

٢٨. محمد عبد الحميد بسيوني, آداب السلوك عند المصريين, ص ٥٥

٢٩. محرم كمال, الحكم والامثال, ص ٦٨

٣٠. الهة ماعت وهي الهة الحق والعدل والنظام بالكون, تتمثل بهيئة سيدة تعلو رأسها ريشة النعام رمز العدالة

٣١. سليم حسن, موسوعة مصر القديمة, ج١٧, ص ١٩

٣٢. احمد محمد البربري, الادب المصري القديم, ص ١١٠

٣٣. محمد العزب موسى, حكماء وادي النيل, مجلة كتاب اليوم, القاهرة, العدد ٣١٥, لسنة ١٩٩٠م, ص ٤٥

٣٤. هيملوت برونر, التربية والتعليم عند المصريين القدماء, تر: مصطفى عبد الباسط, (القاهرة: المركز القومي للترجمة, ٢٠٠١م), ص ١٢٦ وما بعدها

٣٥. محرم كمال, الحكم والامثال, ص ٧٩

٣٦. محمد عبد الله الشرقاوي, الفكر الأخلاقي في مصر القديمة, ص ٣٠

٣٧. سليم حسن, موسوعة مصر القديمة, ج ١٧, ص ١٩٤

٣٨. المصدر نفسه

39. Barbara Watterson, Gods of Ancient, (London: 1967), p 405

40. ibid

٤١. محمد العزب موسى, حكماء وادي النيل, ص ٤٥

٤٢. احمد محمد البربري, الادب المصري القديم, ص ١٣٣

٤٣. احمد محمد البربري, الادب المصري القديم, ص ١٣٣

المصادر العربية:

- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري, أساس البلاغة, (مصر: دار الكتب), ج١
- كريم دوز, الاخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية, (عمان: مركز براهين, ٢٠١٧م)
- محمد عبد الله الشرقاوي, الفكر الأخلاقي " دراسة مقارنة", (بيروت: مكتبة الزهراء, ١٩٩٠م)
- منتصر ثابت, خونانوب الفلاح الفصيح, (القاهرة: دار الهلال, ٢٠٠١م), ص ٢٤
- سليم حسن, موسوعة مصر القديمة " الادب المصري القديم ", (القاهرة: دار الكتب, ٢٠٠٠م), ط٢, ج١٧
- سمير اديب, موسوعة الحضارة المصرية القديمة, (القاهرة: دار العربي, ٢٠٠١م)
- جيمس هنري برستد, فجر الضمير, تر: زكي سواس, (القاهرة: دار الكرنك, ١٩٩١)
- ول وايريل ديورانت, قصة الحضارة " الشرق الأدنى ", تر: محمد بدران, (بيروت: دار الجيل, ١٩٨١م), مج ١, ج٢
- محمد علي سعد الله, تطور المثل العليا في مصر القديمة, (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة, ١٩٨٩م)
- عبد الحميد درويش, الفلسفة في مصر القديمة من أمحوتب الى اخناتون, ط٣, (القاهرة: مكتبة وهبة, ٢٠١٧م)
- محرم كمال, الحكم والامثال والنصائح عند المصريين القدماء, ط٢, (الإسكندرية: الهيئة المصرية للكتاب, ١٩٩٢م)
- عوض محمد عوض, النظام الديني في مصر القديمة, (القاهرة: دار الشمس, ٢٠١٧م
- هيملوت برونر, التربية والتعليم عند المصريين القدماء, تر: مصطفى عبد الباسط, (القاهرة: المركز القومي للترجمة, ٢٠٠١م)

Sources

- Abo Alkasm Mahmoud alzmkshre, the basis of rhetoric, (Egypt, Home book)
- Karma Doz, Ethics among heavenly Religions, (Oman: center brhen,2017)
- Mohamed Abd alla alsrkioy, Ethical thought, (Beirut: Library alzahra, 1990)
- Mantsher Thabt, Konab Eloquent Farmer, (Cairo: 2001)
- Slam Hasen, Encyclopedia of Ancient Egypt, (Cairo: 2000), v 17
- Sameer Adeeb, Encyclopedia of Egypt, (Cairo: 2001)
- James Hnry Breasted, Dawn of Conscience, TR: zaki sousi, (Cairo: 1991)
- Mohamed Ali saad, The Development of ideals in Egypt, (Alexandria: 1989
- Abd Alhmeed Droesh, Philosophy in Ancient Egypt, (Cairo: 2017)
- Mhram Kmael, Egyptian Proverbs sayings and advice, (Alexandria: 1992)
- Halmot Broner, Education among Egyptians, (Cairo: 2001)